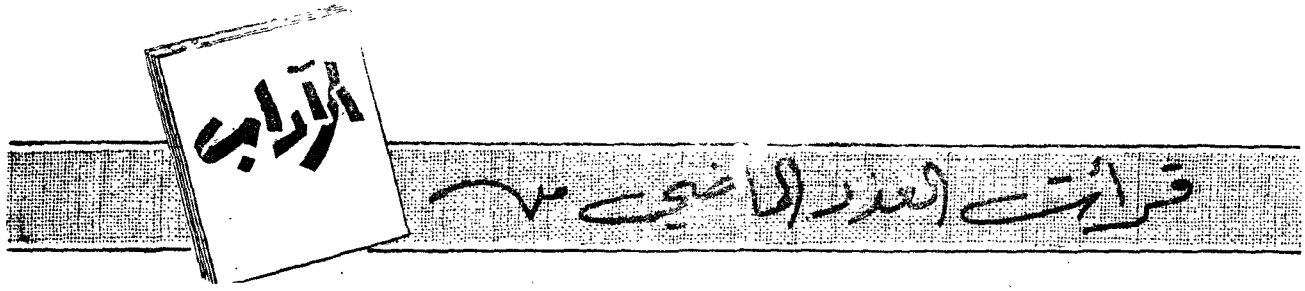

القصائد

بقلم الدكتور علي سعد

قد يكون عدد « الآداب » في الشهر الماضي ، اغنى اعدادها بالقصائد ، فهو يكاد يزخر في كل صفحاته بالشعر المتمثل في خمس عشرة قصيدة .

ولعل الآداب ، حين افسحت هذا المجال الواسع ، لصوت الشعر ، أحبت ان تستجيب لنداءات الحياة العربية التي تمر في لفتات حاسمة من تاريخها وتعيش اياما حافلة بالمجد غنية بالاحداث ، زاخرة بكل ما يحرك المشاعر ويلهب الاخيلة ..

والشعر ، لغة الاحاسيس والشعور ، هو اكثر الفنون الادبية استعدادا للتعبير عن هذه المرحلة من حياتنا التي دفعتها احداث الجزائر ، وقصة جميلة بوحيرد وولادة الجمهورية العربية ، الى اوج توترها العاطفي وقمة نبضها الانفعالي .

واكثر قصائد العدد الماضي من « الاداب » تحمل الى القارىء لمحات ملتهبة من هذا المد الشعوري الجارف الذي تدفق منذ اشهر على حياة العرب وجعلهم يعيشون ابهى ايام عمرهم الحديث واخصبها بالامال والغضب والايمان والحقد والمحبة .

وهذه القصائد بتدفقها وعفويتها وصدق لهجتها وعمق الرعشات التي تميز اكثرها تظهر الى اي حد بدأ الشعر يلتصق بحياتنا ويستمد غذاءه من ينابيعها ويربط مصيره بمصائرها .

ولكن العدد الماضي من الاداب ، اذا كان يرهق الناقد ، لكثرة ما فيه من قصائد ، لا يخلو من متعة وفائدة . فهو اشبه بمعرض شعري متنوع الالوان والاساليب والآفاق . وتنوع الشعراء ، الذين يحفل بهم ، واختلاف الاجيال التي ينتمون اليها ، وتعدد طرق التناول الشعري امام المواضيع الواحدة ، يتيح للقارىء فرصة ثمينة لمقارنة القوى الفتية والمتقدمة التي تركض اليوم في حلبة الشعر العربي . ويسرني ان اعلن هنا ان الاصوات الشعرية الفتية التي ترتفع على صفحات هذا العدد ، ومنها ما نسمعها لاول مرة ، ومنها ما لا نسمعه الا من عهد قريب جدا ، تحتمل المباراة والمنافسة بنجاح واحيانا بفوز اكيد ، مع اسمائنا الشعرية الكبيرة ،كنزار قباني وصلاح عبدالصبور .

وانني اجد في هذه الظاهرة ، ظاهرة القوة الابداعية المتجلية في عناصرنا الشعرية الفتية التي يطلعها من لهب المعركة ، من كل مكان ، دلالة اكيدة على الخصب والزخم والعافية في حركة الشعر العربي المعاصر. وان شعرا يجد كل يوم في الاجيال الطالعة اصواتا جديدة تعبر بصفاء وعمق عن حاجاته وتفجر طاقاته ، لشعر حي كفؤ للماضي المجيد الذي تحدر عنه .

والان لننتقل الى استعراض قصائد العدد الماضي الخمس عشرة .

ان اسهل طريقة لولوجها هي تصنيفها حسب المواضيع التي اوحت بها .

وتبعا لهذه الطريقة نستطيع تقسيم هذه القصائد على الوجه التالي :

اولا : خمس قصائد تتناول مأساة جميلة بوحيرد .

وتدخل في هذه الفئة قصائد نزار قباني ومحمد المصري وشفيق الكمالي وعيسى الناعوري ونجيب سرور .

ثانيا : ثلاثة قصائد تستوحي ميلاد الجمهورية العربية وصورة البطولة العربية المتجسدة في جمال عبدالناصر .

ونذكر من هذه الفئة قصائد نقولا قربان وحبيب صادق ورامي لبابيدي .

ثالثا : قصيدة هنري صعب الخوري التي تستمد جذورها من مأساة الحرية الفكرية المصلوبة على ايدي بعض للسياسيين اجراء الاستعمار ، وقصيدة عبد الجبار البصري في وصف جهد الفلاح لاطعام الاخرين ، تدخلان من نافذتين مختلفتين الى نطاق الشعر السياسي الثوري .

رابعا : خمس قصائد متنوعة تصور مشاعر ذاتية تختلج في نفوس مؤلفيها ، اما في مواجهة الطبيعة التي تتجاوز باصدائها حدود الطاقة الانسانية (ملك عبد العزيز وانور خليل) واما امام الاحداث العاطفية والامواج النفسية التي تتدفق في حيوات الناس ، كالحب (صلاح عبد الصبور وكمال نشأت) والقلق الذي يسمونه مرض العصر (زكي قنصل) .

ومن قصائد الفئة الاولى احببنا اكثر ما احببنا قصيدتين :« جزائرية » لمحمد المصري و « الجمعة الحزينة » لنجيب سرور .

واننا احببناهما معا ، على بعد الشقة بينهما في الاسلوب والاتجاه .

فقصيدة محمد المصري تعتمد في احداث الاثر الشعري على النغم والتلاوين وبراعة النقلة بين الخاطرة واختها والاناقة والتساوق في توزيع الحركة والنغمة والصمت حيث يجب .

والقصيدة رغم تركزها حول قصة البطلة الجزائرية جميلة ، تعالج هذه المأساة اكثر ما تعالجه من زوايا الجمال والحب . وقد استطاع الشاعر ان يحافظ امام هذه الجريمة البشعة التي تلطخ الانسانية بالعار ، على الكلمات الحلوة وان يبقي في شعره مكانا للفرح والغناء والتفاؤل . انه لا يجد في استشهاد الصبية الا جمال البطولة ورونق النضال . لذلك خلت قصيدته من طعم المرارة والحقد والغضب وظلت اشبه بأغنية حب ،من اغاني الحب ، فيها رشاقة النغم وعذوبته ، وحلاوة الصور ورقتها وهبات ربيعية دافئة :

وافرحي فارسة الارض التي تشرب
من عين الصبايا
يا جميلة
اتراهم يطفئون الغابة الخضراء
في العين الجميلة

اترى تهدأ ... هاتيك الجديله

واذا كان محمد المصري يفضل ان يتحرك في هذا الاطار الشعـــري البهي الذي يستعير كل عناصر بنائه من العالم الحسي الخارجي ، فان نجيب سرور في قصيدته « الجمعة الحزينة » ، يبعث جو الجريمة المريعة التي كان الفرنسيون على وشكارتكابها باعدام جميلة ، بالتسلل الى داخـل النفس الانسانية وبالنفاذ الى اعمق اعماق الالم الذي يزرع درب الانســان منذ مات الناصري الى استشهاد الفتاة الجزائرية .

وبقدر ما يضفي محمد المصري من الرواء على البطلة ، لانه لا ينظـــر اليها الا من خارج ، كمتفرج سريع الحساسية ، بقدر ما نرى نجيـب سرور يحترق في لهب الفاجعة التي تجرفه بهولها ورعبها وتحمله علـى ان يعيش مع البطلة آخر ساعات عمرها وان يدخل زنزانتها ويتلمس جليد الذعر الذي يدب في اطرافها وذهول اليأس ينسج خيوطه فيعينيها وان يعرف معها الخوف الذي عرفه المسيح ليلة صلبه .

لا ، ان الشاعر سرور لم يشأ ان يقف متفرجا امام الجريمـة ولا ان يصورها بالصورة الزاهية التي احب اكثر شعراء وادباء العربية ان يصوروها بها ، لانطلاقهم من الزاوية الوطنية فقط ، وانما استطاع بصدوره عن الزاوية الانسانية الصرف ، ان يقدم لنا عنها الصورة الحقيقية كما يمكن ان تبدو في نفس الضحية التي عرفت اقسى ما يمكن لانسان ان يعرفه من العذاب حينّ ظلت اياما وأسابيع واقفة بين الحيرة والرجـاء واليأس في انتظار ساعة اعدامها .

وبالرغم من ان احد مقاطع القصيدة الذي يصف فيه الشاعر احاسيس البطلة حين تسمع وقع نعال الجلادين تقلق صمت الليل ، فيتجمع كـل كيانها في اذنين وفي عينين ، وحين يدور المفتاح في ثقب الباب ويدخل الحارس بوجه مرعب ، خلف ضوء اسود ، يحمل فانوسه واخبار الموت والحياة ، اجل بالرغم من انهذا المقطع يذكرنا من قرب بالصفحـات الرائعة التي صور بها أرثر كوستلر تلك الثواني الرهيبة التـي يعرفهـا نزلاء السجون قبيل مرور موكب الاعدام في البهو القائم خارج زنزاناتهم ، فاننا لا نتمالك انفسنا من ان ننجرف مع الشاعر في دوامة الحزنالقاتل والخشوع والتهيب والوجل والخجل الذي يحسه امام حادثة اعدام فتاة لا يملك لنصرتها الا شعره وبعض كلمات العزاء . شأنه في ذلك شأن محمد المصري الذي لا يملك لنجدة الشهيدة الجزائرية الا اغانيه يهديها اياها .

وانني ادى في قصيدة نجيب سرور نموذجا من الشعر البسيكولوجي الذي يندر كثيرا في ادبنا العربي . وهو هنا يظهر انه يحسن الغوصالى سراديب النفس الانسانية والى الكشف عن اختلاجاتها واسرار مكنوناتهـا بلغة بسيطة لا ادعاء فيها ولا كلفة ، وعلى جانب كبير من المرونة لتتلاءم مع مقتضيات السرد والتسلسل المنطقي . ومع هذه البساطة في التعبير ، وانحداره احيانا الى ما يشبه حديث النثر ، فقد استطاع ان يحملنا على ان نشاركه جو الحنين والشفقة الذي توحي به ذكريات الجمعـــة الحزينة ، كل جمعة حزينة . ولعل اختياره لبحر الخبب قد ساعدهكثيرا على احداث التدحرج والاندفاع الى الاغوار الموحشة التي يهوي اليها .

وعلى النقيض من هذا الشعر ، تقف قصيدة نزار قباني في جميلة ابو حيرد ايضا .

فهنا يلجأ الشاعر ايضا الى لغة السرد . وهو هنا ايضا يستعيـــن بالتصوير الواقعي لابراز مأساة البطلة العربية التي هزت ضمير الانســان في كل ارض .

ولكن هذا التصوير يظل تصويرا. وواقعية الشاعر تظل متعلقة بالجوانب الخارجية من المأساة . انها لا تقف الا عند الاحداث ، او الملامح والسمات والشكل ، انه يصف مسلك البطلة الشابة في زنزانة بسجنها ، ويصف شعرها ويدها ، وصدرها وثغرها وطهارتها ثم يصف صنوف التعذيـب التي انزلت بها ، بكثير من الصراحة .

وهذا كل شيء ، وقد يكون هذا كل الكفاية لو قيل باللغة المجنحـة التي عودنا عليها نزار في اكثر شعره . ولكنه في هذه القصيدة يكتفي باعطائنا تقريرا امينا لقصة جميلة ، كالذي يحسن تنظيمه. رجال الضابطة العدلية، فلا لفتات جانبية ، ولا نبضة شعورية ولا رفة جفن او خفقة قلب تشعرنا بان المأساة قد دخلت في عروق الشاعر واستنزفت مآقيه او استقطرت مقالع خياله . ان كلمات الشاعر ظلت باردة كالرخام الابيض الذي لم يمسه بعد ازميل نحات.

قد يقول قائل ، في الدفاع عن هذه القصيدة : ان هول الموقف وجلال المصيبة قد دفعا الشاعر الى التزام الاسلوب الصارم المتجرد من كـل زخرف او تفجع وان فيض العاطفة لا يليق بالمرحلة البطولية التـي يمر بها الشعب الجزائري وان ما يخطه هذا الشعب وما كتبته جميلة ابو حيرد بدمها لاجل وابهى من ان تضيف الكلمات شيئا الى القه وروائه

انا اعلم ذلك . ولكنني اعلم ان آخر من يستطيع ان يحتج بهذا الامر هم الشعراء الذين لا يملكون الا الكلمة والذين لا يتخلون عنها ابدا ولا يقعدهم ابدا جلال موضوع ولا روعة اي امر عن تصريف كلماتهم وعواطفهم حيث يحملهم خيالهم والهامهم .

وكل ما ننكره على نزار قباني انه ظل على السطح من قضية جميلـة بوحيرد يتأملها كما يتامل زائر متاحف علوم الاحياء ، الاسماك السجينة

صدر حديثا :

النقد الادبي ومدارسه الحديثة

تأليف ستانلي هايمن

يعتبر هذا الكتاب مرجع الادباء والنقاد والباحثين في المدارس النقدية التي ظهرت في الجيل الاخير ، لانه يتناول بمنهج علمي رصين اعلام النقد المحدثين ويدرس نظرياتهم ويتتبع نتاجهم ثم يقرنـــه بالنظرية النقدية فـي اوروبا منذ اقدم عصورها .

وقد تناول في الجزء الاول عددا من مشاهير النقاد ، منهم ادموند ولسن وايفور ونتز وت. س. اليوت وفان ديك بروكس وكونستانس رورك ومود بودكين وكارولاين سبيرجن .

طباعة انيقة على ورق ممتاز

٣٥٠ صفحة من القطع الكبير ــ ٥٠٠ غ.ل

دار الثقافة ــ بيروت

في اقفاصها الزجاجية . لقد ظل جدار من الصمت يفصل بينه وبين القضية ويمنعه من الاندماج فيها والالتفات الى اصدائها ورناتها الانسانية . اننا لا نجد في قصيدته امتدادات المأساة الى نفسه او الى الوجود البشري كما نجدها في القصيدتين السابقتين . وبكلمة انها تخلو من عذابات التجربة الشعرية التي تميز القصيدتين السابقتين .

وليس في القصيدة شيء آخر يشفع بهذه البرودة الموضوعية التي تمتّع وراءها نزار قباني . هذه القصيدة ليست من مقالع الصفاءوالشفافية والرشاقة والجرأة التعبيرية التي اعتدنا عليها في شعر القباني . ولو كنت محله لما اسلمتها للنشر الا بعد تردد كبير .

وقصيدة شفيق الكمالي تتصف بالبراءة واكاد اقول بالسذاجة في كثير من صورها وافكارها وهذا يعني انها تتضمن عنصرا ثمينا من عناصر الاداء الشعري الذي يدخل في صميم طبيعته عفوية تبجسه وعودتهبالسامع او القارىء الى ما يشبه طفولة الحواس والذهن . وفي القصيدةمحاولة لربط صورة جميلة بالذكريات والوجوه التاريخية المحببة التي كانت تملأ طفولتنا . ولكن فيما خلا بعض المقاطع التي تطل منها ومضاتشعرية اكيدة ، تسقط القصيدة بأكثريتها لمستوى القول العادي .

وقصيدة الناعوري هي القصيدة الوحيدة ، بين القصائد المكرسة لجميلة الجزائر التي نظمت على النهج التقليدي في الشكل وفيالمنحى.

ولكن هذا الاطار من النغم الموضوعي الذي يضفيه عادة قالب الشعر التقليدي والبحر الواحد ، لم يستطع ان يرفع القصيدة الى المستوى الشعري الحقيقي . فهي اقرب شيء الى النثر المنظوم . فالطابع الخطابي الذي يغلب عليها وبسلوكها طريق التعبير المباشر الذي يحمل الشاعر على استعارة التعابير والكلمات والصور الخام من مقالعها في الحديث الشائع بين الناس ، دون ان يخضعها لاية عملية تنسيق واختيار وتقطير، مما يدخل فيما يسمونه بالذوق الشعري .. فنحن لا نجد في هذه القصيدة شيئا من معالم الصفاء والعمق والاناقة والنبض الانفعالي الحي ولا شيئا من تزاوج الانغام واصداء الصمت والنبرات ولا من التبادل الايقاعي بين التعبير والانطباع ، بين الصورة والحس ، وغير ذلك من الملامح التي تميز القول الشعري . ورغم ما في القصيدة من بوادر الشعور بالنقمة على جرائم الفرنسيين في الجزائر فان الشاعر لم يقدر على ان يبعث فينا حرارة انفعاله ولا ان يجرنا الى مسالك نفسية فاجعة تمسك بخناقنا وتجعلنا نشاركه نقمته وغضبه وشفقته ، كما فعل الشاعر نجيب سرور مثلا . والقصيدة ، بعد ، تخلو من الوحدة العاطفية والصياغة ، ومن كل ما يجعل من العمل الشعري بناء عضويا حيا ، وعالما خاصا يبنيه الشاعر بمزيج موفق من اللمحات والاشارات والرموز والخلجات والاصداء المعبرة عن معطيات الحس والذهن والقلب والعقل.

ومن قصائد الفئة الثانية المستوحاة من الحديث الذي جمع سوريا ومصر في وحدة شاملة بقيادة عبدالناصر ، نجد ثلاث قصائد لشعراء لبنانيين ، قيلت كلها على نسق الشعر الحر ، او المنسرح ، ايضا .

وقصيدة « جدائل الاطفال » لنقولا قربان هي اكثر هذه القصائد تحررا من ناحية الشكل وأقلها التزاما لوحدة الوزن والقافية . انها محاولة لقول الشعر في قالب يقف بين الايقاع الشعري والايقاع النثري.

وأنا شخصيا لا احب هذه المحاولة الهجينة . فاذا كان الشاعر لا يؤمن بالايقاع كعنصر اساسي من مقومات العمل الشعري فلماذا لا يتخلى عنه نهائيا ويبقى على صيغة النثر الفني ؟

واذا كان يؤمن به فلماذا لا يبقى على ايقاع واحد ، او علىايقاعات متقاربة متساوقة ؟ ان تنويع الوزن في داخل كل بيت او ضمن كل مقطع ، والانتقال المفاجيء من مجزوء وزن الى مجزوء وزن آخر ، جعل القصيدة في حالة عدم استقرار دائم يستنفد جهد القاريء ويدفعه دائما الى الهاء سمعه وانتباهه عن مضمون القصيدة ومادتها في محاولة غير مجدية ـ وتحويلهما لتتبع نغم مستقر متوازن .

ولولا هذا الحاجز الشكلي لكانت متعتنا اكبر بالنبرات الشعريةالصافية التي تتصاعد من بعض ارجاء القصيدة والتي تدل على شاعرية اصيلة عمادها خيال مجنح واناقة صبورة وطرافة لفتة ولهب احاسيس .وتلاوين في العبارة والخاطرة .

ولكنني احذر الشاعرالصديق من السقوط في مزالق السهولة التي تقف في نهاية الدرب عند الانسياق وراء التفلت من قيود الانضباط التي يفرضها الوزن الموحد ، او التوازن بين الانغام المتساوقة .

وقصيدة « بطل من بلادي » لرامي لبابيدي نموذج للشعر الذي يقف على الحدود بين الابداع والابتذال ، هذه المنطقة الخطرة التي لا يجرؤ الناقد على ولوجها .

وكل ما استطيع قوله هو ان شعر اللبابيدي يلفت النظر بطاقته اكثر من واقعه . عسى ان يكون الشاعر عند حسن الظن به ، وكل ما ارجوه ان يتخلى قدر امكانه عن الدروب المطروقة كثيرا وألا يخاف من شقدرب جديد خاص به .

اما حبيب صادق فيظهر في قصيدة « التاريخ والطلبة والصغار » اكثر

الطبقات الكبرى

لابن سعد

بعونه تعالم تم طبع هذه الموسوعة الاسلامية الكبرى التي تعتبر عمدة المؤرخين والباحثين في سيرة الرسول وتاريخ الصحابة والتابعين وهو يقع في ٣٢ جزءا تضمها ٨ مجلدات وثمن الجزء الواحد:

٢٠٠ قرش لبناني

فالرجاء من حضرات المشتركين ان يبادروا الى استكمال مجموعاتهم ، حيث سيصبح ثمن الجزء الواحد ابتداء من اول شهر تموز القادم

٢٥٠ قرشا لبنانيا

الفهارس الكاملة للكتاب قيد الاعداد

الناشر : دار صادر و دار بيروت

اكتمالا لعدته الشعرية . ولست اتردد في التصفيق لهذه القطعة التي يعجبني فيها الترابط العضوي بين اجزائها والتوازن الظاهر بين دفق العاطفة وضبط العقل المتمثل في التزام ايقاع واحد لا يتغير ، رغم وعورته ، وكثافة المادة الشعرية التي يؤديها بيان ناصع ، باهر ، مختار، واللهجة الحيية التي ينطلق فيها الشاعر من الواقع المؤلم ، وتدرجه على اجنحة الحدث الذي زلزل العالم للتطلع الى ابعد آفاق الامال التي يولدها .

وفي قصيدة « برونو ... ابدا » يصب هنري صعب الخوري كل ما يجيش في حلقه من شتائم ولعنات وبصاق على الرأس القذر الذي يدبر في كل بلد عربي المحاولات لخنق الفكر الحر . وقد وفق الشاعر، رغم كل ما قيل نثرا في هذا الموضوع المطروق دائما في كل الصحف الحرة ، ان يبعث فينا بكلماته الملتهبة ، اللاسعة كالسياط ، وبصدق لهجته وايمانه بما يقول ، وبعباراته المتلاحقة على وتيرة واحدة ، الرجة الانفعالية التي يهدف اليها كل عمل شعري .

ولا يضير هذه القصيدة انها تستهدف شخصا سياسيا معينا ،عرفناه في كل كلمة من كلماتها ، فواقعيتها الآنية لا تقضي على طبيعتها الشعرية . ان قصيدة « برونو .. ابدا » جديرة بان تدخل في كتاب الشعر النضالي العربي الحديث .

اما قصيدة « اغنية الكرمة » لعبد الجبار داود البصري فتسلك درب النضال الثوري ضد الواقع الفاجع ، باسلوب لامباشر اكثر استخفاء ، واقرب للرمز والايماء منه الى لهجة المقارعة المواجهة التي يعتمدها الشاعر اللبناني.

فالشاعر البصري بوصفه العامل في الكروم يروي العناقيد بدمعه ودمه ليطعم غيره يوميء الى المأساة الاجتماعية التي تفصل الناس الى مالكين ومحرومين . ولكنه يشير الى ذلك بصورة حيية ، خفية لا تزيد شعورنا بالمأساة الا احتداما . وهذه القصيدة ، على براءة مظهرها تزخر بطاقة شعرية متفجرة ، وبلمحات وتعابير رائعة تنطلق من الرمزية حينا ومن السريالية حينا ، ومن الواقعية احيانا كثيرة . ان هذه القصيدة تذكرنا كثيرا بشعر الشاعر السوداني جيلي عبدالرحمن ، بشفافية الاحاسيس البكر التي تنم عنها كلماتها البسيطة التي تحاول ان تنقل الوجود الطبيعي الى وجود النفس الانسانية .

وقصيدة زكي قنصل « ثورة » لا تحمل شيئا من معنى الثورة التي يوحي بها عنوانها . انها تصوير رومنطيقي لحالة الحيرة والقلق التي تنتاب الانسان المضيع وراء اسئلة لا يريد لها جوابا . انها صورة عما كان يسميه الغرب في القرن الماضي « مرض العصر » ، وهو في الواقع مرض الشباب المراهق في كل عصر وفي كل مكان . والسلاسة والرقة التي تميز دائما الشعر المهجري هي كل ما يشفع بهذه القصيدة ، التي ترتبط بشعر العقد الثالث من هذا القرن .

وقصيدة « النهر الحبيب » لانور خليل تدخل ايضا في فئة الشعر الرومانسي الذي يستلهم مظاهر الطبيعة وروابطها مع الانسان . ومع ان الشاعر ، هنا ، يبدو مشدودا بألف وتر الى النهر الكبير الذي يصفه ويأخذ عليه دروب فكره وباله ، فان ارتباطه بالطبيعة هنا يظل من النوع الرومانسي العادي ، اي مجرد محاولة للهرب من الواقع ، بخلاف الرومانسية الثورية التي تحمل عبدالجبار البصري مثلا على الانطلاق من واقع الطبيعة وجمالاته للانتهاء الى تناقض هذا الواقع الخارجي الجميل مع بؤس الانسان بسبب الواقع الاجتماعي الظالم .

ولكن ، مع هذا ، لا يسعنا الا ان نقر بقوة قصيدة « النهر الحبيب » وجلال النفس الملحمي الذي يمور في ابياتها وما يتناوب في سياقها من نبرات قاسية وحشية حينا ورقيقة احيانا حسبما تقتضيه مراحل هذا الشعر التصويري امام النهر الكبير .

وتنتمي قصيدة ملك عبدالعزيز « الى نجمة الغروب » للنوع الشعري نفسه . وكما يصف انور خليل مشاعره وانفعالاته امام النهر الحبيب تصف لنا الشاعرة المصرية كل ما يتركه في نفسها المرهفة الحساسة اطلالة نجمة الغروب . وهذه القصيدة مثل رائع من الشعر المهموس الذي يهدد بالانقراض في شعرنا العربي . ولا يسع القارىء الا ان يحس لدى سماعه ، احساس الانتعاش بعد غطسة في مياه ساقية تظللها اشجار بريئة .

ويساعد على احداث هذا الاثر المنعش المحيي ، ما يفيض في القصيدة من حلو البث ، والحنين والابتهال والشوق والمحبة التي تتسع لكل الوجود . كل هذه المعاني والاندفاعات النبيلة ، تسوقها الشاعرة بكلمات وأنغام يرتعش فيها الصفاء وتنقطر الرقة والعذوبة . ان في قصيدة «الى نجمة الغروب » كل هناء الامسيات والتأملات في ساعات المغيب،حين تمتلىء النفس بالحسرة على الضياء المولي وتتفتح ليد الليل والحلم والغيب .

هناك ، خلف غابة النجوم

عندما دخلوا التاريخ

فصول جمعها ولاس بروكوى

ترجمها وكتب عددا اخر منها : ناصر الدين النشاشيبي
وعبدالرحمن الرافعي وكمال الملاخ ومصطفى امين
وعلياء الصلح النشاشيبي

لاقي هذا الكتاب في اميركا واوروبا اقبالا منقطع النظير ، لانه يصور لنا عددا كبيرا من الشخصيات التاريخية اللامعة اثناء مرورها بنقط التحول في حياتها .

ومن الشخصيات التي عرض لها قيصر وغاندي هتلر ورزوفلت والقديس بولس وبتهوفن وجان دارك . ومن الشخصيات العربية مصطفى كامل وسعد زغلول ومختار وفيصل الاول وعبد العزيز آل سعود ورياض الصلح . وقد طبع الكتاب طباعة انيقة وترجم باسلوب رشيق رصين

٥٠٠ صفحة من القطع الكبير ـ الثمن ٧٠٠ قل.

دار الثقافة ـ بيروت

وخلف استار الغيوم والظلام
تربع الاله
فالعين لا تراه
وانت يا صديقتي ..
اشارة عليه
رسولتي اليه
الجوهر المنضود في بوابة السماء

*

هناك يا صديقتي
تركته هناك
شباكنا الغربي
ملتقى المساء

ليتنا نسمع كثيرا من هذا الشعر الذي نستطيع ان نضعه في ارقى مصاف الشعر الصوفي .

واخيرا يبقى امامنا قصيدتان لشاعرين مصريين معروفين : كمال نشأت وصلاح عبدالصبور . ويؤسفني ان اصارح هذين الشاعرين اللذين لا يحتاجان الى اي دليل على رسوخ قدمهما في الابداع الشعري ، ان قصيدتيهما لا تستحقان النشر ولا تليقان بماضيهما ، شانهما في ذلك شأن قصيدة نزار القباني.

فقصيدة « احلام عذراء » لكمال نشأت قد تصلح اغنية لمدرسة ابتدائية بما فيها من سذاجة وبساطة مجردتين من كل لمحة فذة . وحتى المواويل الشعبية في القرى تحمل من هذه اللمسات الفذة والدعابات الساخرة اكثر مما تحمله قصيدة كمال نشأت التي لا يشفع بها الا عدم ادعاء صاحبها وتواضعه وخفره .

اما قصيدة عبدالصبور « الحب » فانها تتضمن الى جانب هذا الفقر في الملامح الشعرية الاصيلة ، الكثير من التشويش النغمي ، والاخطاء العروضية وحتى البيانية ، كقوله :

وقلت لها بأن الحب ما يصنع بالانسان انسانا

فان تعدية فعل قال بالباء يصح في العامية وليس في الفصحى .

وما كان لي ان اقف عند هذه الهفوة الشكلية لو وجدت في القصيدة قبسا من القول الملهم يتيح لي ان اغفر للشاعر الذي احببته كثيرا في قصائده السابقة .

وان كبوة شاعرين كبيرين كعبدالصبور ونزار القباني تحتم علىشعرائنا التنبه الدائم للحفاظ على غارهم .

فالقارىء الذي يقدم له كل يوم شعراء الجيل الطالع من الزاد الدسم امثال الكثير من قصائد هذا العدد لن يرضى من سابقيهم ما يقع دون المستوى الاعلى الذي بلغوه . وهو دائما واقف لهم بالمرصاد . وترصده الواعي هو الضمانة لاستمرار سير شعرنا العربي الصاعد نحو الافاق الرفيعة التي يقتضيها تراثنا الماضي وآمالنا في المستقبل المجيد لامتنا الكبيرة .

علي سعد

الأبحاث

بقلم عبد اللطيف شراره

الجلادون

هذا مقال كتبه جان ـ بول سارتر تعليقا على كتاب « الاستجواب » الذي وضعه بيير أليغ عن فظائع التعذيب في الجزائر ، ونقلته الىالعربية السيدة عائدة مطرجي ادريس .

يجب ان اشير ، في بداية حديثي عن هذا البحث ، الى صفاء الترجمة وامانتها وقوتها ، اذ اتيح لي ان اطلع على فقرات كبيرة من الاصل ، وآنست لدى الترجمة تدقيقا في النقل ، وتحريا ينطوي على كثير من الجهد ، للعبارة العربية الصحيحة التي تؤدي ما يقوله سارتر .

وسارتر يدرس هنا قضية التعذيب ، من زاوية تحليلية خالصة ، كظاهرة من ظواهر العصر ، ينطبق فيها على فرنسا ما ينطبق علىغيرها من الامم التي تمارس هذا النوع من السلوك ازاء افراد يناهضون سياستها العامة ، ويشجبون تصرفات حكامها في المبدأ والهدف والوسيلة .

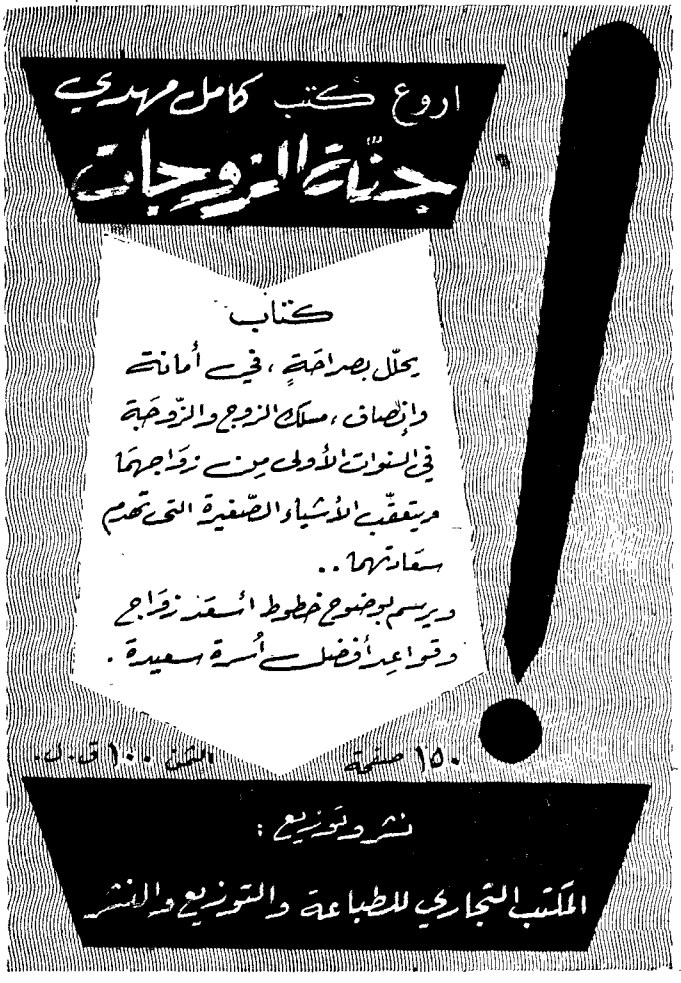

وأهم النقاط التي يوضحها هذا التحليل السارتري لظاهرة التعذيب، ثلاث ، هي : (١) تحول الضحية الى جلاد (٢) الهوة بين الانساني واللاانساني (٣) عفوية التعذيب في الحرب الجزائرية ، بمعنى ان «الظروف أدت اليه ، وعمقته النعرات العنصرية » .

لا يزال هذا التحليل ، في رأيي ، ناقصا ، لانه يُغفل او يسهو عن « الاساس » الذي تقوم عليه عملية التعذيب في نفس فاعله ، وهو لا يعي منه .

هذا الاساس هو الشعور الخفي بالهزيمة في المعركة التي يخوضها الجلاد ضد الضحية ، او هو الاحساس الذي يخالج المعذب (بالكسر)انه ضعيف ، وانه غير محق ، وانه معتد ، وان المعذب (بالفتح) لم يقتسره على شيء ، ولم يطلب سوى ما يراه حقا وعدلا .

القوي ، المحق ، المؤمن بصواب مسلكه لا يلجأ ابدا الى التعذيب ،حتى ولا يفكر به . ولقد كان الحلم ، او العفو عند المقدرة ، من ابرز علامات القوة ، ولا يزال الى يومنا هذا ، مظهرا من مظاهر القوة النفسية . فاذا رأيت امرأ يصطنع اساليب الاوغاد في معاملة اعدائه بعد ان يتمكن منهم، ويصبحوا في قبضته ، فذلك يعني ، دون ادنى ظل من شك ، انه مغلوب، منهزم ، وان ظهر غالبا منتصرا .

وشأن الامم في ذلك شأن الافراد . ان قسوة فرنسا على الجزائريين اليوم ، ولجوءها الى هذه المسالك والطرائق في اذلالهم ، وعنفها البالغفي الرد على الثائرين منهم ضد وجودها في بلادهم ، ادلة ساطعة ، على ان فرنسا شاعرة في قرارة سريرتها ، انها منهزمة لا محالة ، وأن الغلبة آخر الامر للوطنيين الجزائريين وشعورها هذا يقلقها الى حد لا تعرف معه كيف تتصرف ، ولا كيف تفكر ، ولا كيف تستنقذ نفسها من الهزيمة المنتظرة .

وليس امر فرنسا في هذا بمختلف عن امر المانيا الهتلرية ، فقد كانت اكاذيب غوبلز ، وتأويلاته للمواقع والاحداث ، تؤكد وحدها ان النازيين لا يؤمنون بما يقولون ، وأنهم يتلمسون حتى في انتصاراتهم الوقتية العابرة ، ما يخولهم الشعور بالظفر الاخير ، ولكنهم عبثا ما كانوا يأملون !

واذا كانت الحكومة الفرنسية تطمس اليوم حقائق التعذيب ، وتمنع كتاب أليغ من الانتشار ، وتصادر الصحيفة التي نشر بها مقال سارتر ، فهذا من علامات الضعف الذي يشعر به جلادو الجزائر امام انفسهم، وأمام العالم . وضعفهم هذا هو معنى انهزامهم ، عن قريب . غير ان سهو سارتر عن بيان هذه الحقيقة في تحليله لما سماه « وباء التعذيب »ناجم عن ايمانه بأن انهيار فرنسا لم يتم بعد . ولكن ألا يرى سارتر انها في طريق الانهيار ؟ ألا يرى في تصرفاتها ، في قرية ساقية سيدي يوسف التونسية ، بربرية المنهارين ؟!

ان ما يرويه بيير أليغ في كتابه « الاستجواب » لا يكشف عن أمة وقفت على هوة « اللاانساني » فقط ، وانما يؤكد انها سقطت في تلك الهوة . ولن ينتشلها منها سوى الاعتراف بالحقيقة ، والرجوع عنالخطأ، واعطاء كل ذي حق حقه ، ثم البدء من جديد على اسس عادلة ... في العلاقات والمعاملات .

السياسة العربية في شهر

هذا العرض للتاريخ الراهن ، على يد الاستاذ محمد النقاش ، يشكو كثيرا من فقدان « الروح التاريخي » ، ويربط القضايا العامةباعتبارات حماسية وذاتية ، قد تكون اليوم على جانب كبير من الافادة في توجيه القراء ، وتركيز انتباههم على احداث لها قيمتها الراهنة ، ودلالتها الصحيحة ، ولكنها تظل « اعتبارات »ظرفية ، تنقصها موضوعية البحث الهادىء الذي يترك الاحداث وحدها تتكلم ...

ولن آخذ دليلا على ذلك سوى موقفه من دستور الجمهورية العربية المتحدة ، اذ يقول : « والعجيب ان الذين طالما تذرعوا بنص الدساتير القديمة في سورية ومصر على الاسلام دينا للدولة ، حجة للدس والتفرقة والتمسك بأهداب الاجنبي ... اصابهم البكم امام النص الجديد ،فبلعوا ألسنتهم وأكلوا اقلامهم ، لم يلعنوا ولم يباركوا ، كأن الامر عادي وكأنه ليس تطورا خطيرا يستحق الذكر والتنويه ... » ثم يضيف الى ذلك قوله : « نحن نعتقد ان المسألة اكثر من تطور . انها ثورة ، ما كان غير عبدالناصر انيقدم عليها ، ولئن استطاع الاقدام عليها بسهولة ، فلانه رجل كبير ، آمن به الشعب ووثق بايمانه المتين »

لم هذا الاهتمام ، في معرض تقرير الوقائع ، بأهل الدس والتفرقة ؟! ولم التحدث عنهم في شأن وقفوا حياله ساكتين ؟! وكيف يطلب اليهم ان يذكروا امرا وينوهوا به ، وهم المتمسكون بأهداب الاجنبي ؟!

اما ان المسألة ثورة ، وأنه لا يقدم عليها غير الرئيس عبد الناصر لانه رجل كبير آمن به الشعب ، فذلك ترجمة غير كاملة للواقع .

الواقع ان الشعب العربي انتهى من تجاربه الطويلة الى النتيجة التي قررها الاستاذ النقاش ، قبل الفقرة التي نقلناها بقليل وهي ان « الدين دستور سماوي ، يقرر علاقة الانسان بالله ، بينما دستور الدولة دستور دنيوي يقرر علاقة المواطنين بعضهم ببعض » .

انتهت التجربة العربية ، في اكثرية البلدان ، الى هذه النتيجة ،ومذ كان الرئيس عبدالناصر ، يمثل الشعب العربي في ارقى افكاره ، وأغنى تجاربه ، وأفضل اتجاهاته ، استجاب لهذه الافكار والتجارب والاتجاهات، وألغى النص على دين الدولة في الدستور ، وكان الشعب مرتاحا ، مطمئنا ... هذا كل ما هنالك !

ثورة الابداع والثقافة

ويقف الاستاذ مطاع صفدي موقفا مشابها لموقف الاستاذ النقاش ، في تحمسه وطغيان عاطفته ، في معرض درسه لتاريخ العرب الثقافي الحاضر. وكل ما يريده أن يستبق العرب اليوم الزمن بتفكيرهم ، ويجعلوا للاحداث « قناة » تجري فيها يحفرها لهم « العقل » كي لا تفرقهم الاحداث المقبلة ، ويفقدوا سلطانهم عليها ، في المستقبل .

الا انه يتناقض تناقضا عجيبا ، اذ يعود فيقرر : « نحن نستطيع ان نجزم بسرعة ان الثورة العربية ، الثورة التي تطفح الان من جميع تفاصيل واقعنا اليومي والعاطفي والذهني ، انما هي ثورة بنت المجهول ، انها ثورة قدر عميق جبار ، يصعد من خلفية هذه الامة ، بل من اعماقها ،ونحن لا نملك ازاءه الا الدهشة وشيئا من القلق ، وشيئا من التساؤل : انحن صنعنا كل هذا ؟ »

الصفدي هنا ، في هذه الفقرة« غيبي »النزعة ، قدري التفكير ،وجودي الاحساس ، بينما هو في الفقرة التي سبقتها كان عقلاني النزعة ، يؤمن بالتفكير المنظم ، ويدعو الى التخطيط . وهو في الحالتين مخطىء.

هناك مبدأ علمي ، في تفسير سلوك الانسان ، يقرر ان الفكرة تجنح لان تكون عملا ، وليس من واقع اجتماعي معين الا ووراءه مجموعة « افكار » أفضت بتحققها اليه . وذلك يعني انه من المستحيل علميا ان تكون ثورة « بنت المجهول » وانما تكون دوما وليدة تيارات فكرية حلمت بها الاجيال السابقة . والثورة العربية الراهنة ، تحقق عفوي للافكار والاراء والتيارات القومية التي نمت وترعرعت في الاقطار العربية ، منذ قامت ثورة اليمن على العثمانيين – وهي اول ثورة عربية تحررية خالصة– الى يومنا هذا ، وغني عن البيان ان لتلك الافكار والاراء والتيارات، جذروا قوية في تربة العروبة ومناخها الثقافي ، وتكونها التاريخي ، التي يمكن تلمسها والاهتداء اليها بسهولة . فثورة الجزائر اليوم تتمة لمقاومة الجزائريين عام ١٨٣٠ ، وفرع قام على جذع النضال الهائل الذي نهض به عبد القادر الجزائري المشهور ، وهكذا ... الى ما لا نهاية ، فيثورة مصر ، وانتفاضات الاقليم السوري ، ووثبات العراق التي لم تنقطع ، ومعركة عمان في شرقي الجزيرة ، ونضال التونسيين والمراكشيين ، من اجل الاستقلال .

اما « ثورية العقل والثقافة » التي يشعر الاستاذ الصفدي ان العرب في حاجة اليها ، فانها لا تنفصل ابدا عن الثورة الاجتماعية – السياسية، فهما ، في التحليل الاخير ، شيء واحد . وكل تقهقر اجتماعي او سياسي، يشير حتما الى تقهقر عقلي او ثقافي ، والعكس بالعكس ، واذا وقعنا على ظواهر من شأنها ان تهدم هذه القاعدة او تثير الشك في صحتها ، وجب أن نحلل تلك الظواهر ، وتحليلها يقودنا حتما الى اكتشاف الزيف والخداع والدعاية المضللة ، كأن يظهر بلد ما انه راق متمدن متعلم ،وأهله يغوصون في اوحال التفرق والتخاذل والعجز تجاه الاحداث وتغلب الانانيات الفردية على المصالح العامة ، فالمظهر هنا ، لا يعدو ان يكون مظهرا ، وجوهره هو الانحطاط والاضطراب والضعف .

ليطمئن اذن الاستاذ الصفدي ، فما دامت الثقة السياسية قائمة ، والنهضة الاجتماعية سائرة في ديناميتها المنتجة ، فلا بد وأن تنتهي الجمهورية العربية المتحدة ، الى ثورة ابداع وثقافة ..

التحدي والجواب عند توينبي

يحاول الاستاذ محيي الدين اسماعيل ، في مقاله هذا ، ان يقدم للقارىء « زبدة » ما جاء به ارنولد توينبي ، من آراء في فهم التاريخ الانساني. وقد وفق في محاولته هذه ، احسن توفيق .

غير اني كنت اود ان لا يكتفي بالعرض المجرد ، فآراء توينبي تشكل خطرا حقيقيا على الناشيء الذي يأخذ بها من قراء العرب ، ولاسيما في المرحلة الراهنة من تاريخنا ، لان هذه الاراء تشكو من ثغرات فراغ ثلاث هي : ١) انها صوفية التفكير ٢) مضطربة في تفهم الحس القومي ٣) تؤيد – رغم صوفيتها – الحركات الاستعمارية .

« يذهب توينبي الى ان الفرصة الوحيدة لانقاذ الحضارة الغربية بأسرها ، هي بعث الروح الديني ، بأوسع معانيه ، اذ ان هذا الروح هو ينبوع الفعالية الفردية . فالفرد هو المبدع ، والافراد هم اسس الحضارات العظيمة » .

هذا التفكير الصوفي يغفل الوقائع ، والتجارب ، ويتيه من المجردات في ضباب معتم ، فالحضارة الغربية في اساسها ، ومتجهاتها العامة لم تقم على الروح الديني ، ليستنقذها هذا الروح ، وقد مرت بالتجربة الدينية في القرون الوسطى ، فلم تستطع ان تتابعها ، وسارت عليها ،ودكت بناءها ، وخرجت منها الى الاستعمار في ابشع جرائمه ، وأحط معانيه وصوره ، وها هي اليوم تعاني النزاع ، لا لانها فقدت الدين ، بل لانها تستثمر الاديان في الابقاء على سيطرتها وتحكمها . وهذه النزعة الى استثمار كل شيء حتى الدين نفسه ، هي التي كانت السبب في صعود الحضارة الغربية ، وهي التي تكمن اليوم وراء انحدارها .. وليس لها بعد في الامر حيلة ، لان الانحدار الذي تعانيه الان، لم ينشأ عن نفسها ، ولا عن انتقاضها على الاسس التي صعدت فوقها اول ما صعدت، وانما هو وعي الاخرين ، وتحديهم الاخلاقي لها وانتصارهم عليها في هذا التحدي ، دون ان تملك جوابا ...

اما اضطراب توينبي في تفهم الحس القومي ، فهو انه لم يلتقط الفروق بين قومية وقومية ، وحسب – خطأ – ان جميع القوميات تنزع الى التفوق العسكري ، والفتح والاستعلاء ، كما هي الحال في القوميات الغربية ، ولذلك ، حمل على « الوثنيات » القومية ودعا الى التخلص من « صنم » الامة – الدولة !

وجه توينبي هذه الدعوة ، في الوقت نفسه الذي كان يدعو به الى تمجيد الفرد واعتبار الافراد اسس الحضارات ، وفي الوقت نفسه الذي يسخر به من « كاتو » ويثني على يوليوس قيصر ، مع ان يوليوس قيصر بداية الطغيان والحكم الاستعماري في روما ، وكاتو هو المتشرع الذي حاول تركيز الحياة العامة ، وفق قوانين رآها عادلة . وبهذا يؤيد توينبي الاستعمار من حيث لا يشعر ... تماما كما يؤيد المتصوفون الطغاة بمجرد

انصرافهم عن الحياة الى شؤون يحسبونها فوق الحياة وأسمى منها .

وقد كان حريا بالاستاذ محيي الدين اسماعيل ، ان لا يترك هـذه النقاط في حديثه عن توينبي ، دون ان يشير اليها .

حدود الفنون وحكاية الالتزام

هذا البحث يقف على شفير هاوية : الشفير هو التجريد ، أي اخـذ الكلمات ذات المعاني المجردة ، والبناء عليها ، دن استقراء عملي ،للوقائع والنتائج والاثار والاشخاص ... والهاوية هي الغموض ، والتيه،والضلال، واستحالة الوصول الى نتيجة . والوقوف على شفير هاوية لا يعني الوقوع فيها ، وانما يعني ان الخطر ، خطر الوقوع ماثل في كل آن ، في كل لحظة .

علينا ، كي نفهم الالتزام في الفن ، ان نعالج الموضوعات الاتية : ١) علاقة الفنان بالمجتمع ٢) حرية الفنان ٣) معنى الالتزام في الفن مـن حيث انتاج الاثار الفنية . ٤) الامثلة الواقعية التي يقدمهاالتاريخ من الفنانين وآثارهم . ٥) ربط هذه الموضوعات فيما بينها ، واستخـراج النتائج العملية ، او الحقائق الاخيرة .

اما ان نتحدث عن « الفنون » و « حدودها » ونفصلها فصلا اصطناعيا الى كومتين مختلفتين ، بين حواسية، وروحية ، ونلقي الف سؤال وسؤال حول الموسيقى والنفس ، وطبيعة الرسم والعمل الكتابي ، وموقفنا مـن رفض تأثر او قبوله ، فاننا نقع دون ان نشعر في « الهاوية » التي تحدثت عنها .

لو كان لي ان اخوض في حديث « الفن والالتزام » ، لتحدثتبالتسلسل عن شاعر مثل طاغور ، ونحات مثل رودان ، ورسام مثل بيكاسو ،ومؤلف موسيقي مثل فاغنر ، وأديب مثل الجاحظ ، ودرست علاقة كل من هؤلاء بمجتمعه ، والخدمة التي اداها فنه ، وما هو مدى الحرية التي كان ينعم بها في نفسه وحياته ، وكيف التزم بما اعطى من آثار ، وهكذا ... الى ان يتضح لكل قارىء موقف الفنان الحقيقي ، المشهود له بالموهبةوالتأثير، من مشاكل الحياة والمجتمع .

ذلك بان الالتزام ، وكل مايتعلق به من افكار وآراء ونظريات ، يدور حول علاقة الفنان بالمجتمع ، ووظيفة فن ما في حياة مجتمع معين ، في عصر معين . وهذه العلاقة ليست مما يستطيع احد انكاره ، ولا سبيل الى التهرب منها ، فان تهرب بعض الفنانين منها اكبر تأكيد على قيمتها، وقوتها وشدتها ...

بقية الابحاث

كان علي ان اتحدث للقـراء بعـد ، عن « تطور شعر الوجدان النسائي المعاصر » وقد رأيت الدكتور محمد مندور يروي اشياء عن ذلك الشعر تحتاج الى اطلاع دقيق ، وتتبع مفصل للشاعريات النسائية ، مما لا املك ان اعطي فيه رأيا مؤيدا بالبراهين والشواهد ، ولكني لاحظت انالدكتور مندور لم يربط بين الاحداث الاجتماعية التي حدثت وأدت الىتحرير المرأة ، وتطور الشعر النسائي . فهذا الشعر لا يختلف في قليل ولا كثير، من هذه الناحية عن شعر الرجال .

اما حديث المعداوي عن نجيب محفوظ ،وسلمى الخضراء الجيوسيعن شعر خليل حاوي ، فلم اعرض لهما ، لاني لم ادرس محفوظ في قصصه، وحاوي في شعره ، لاقرر شيئا حول نقد كل منهما .

عبد اللطيف شراره

كمال عيد

يقدم

فتاة حرة

قصة عاطفية مثيرة

بقلم: كلود آنيه

قصة فتاة جميلة الى ابعد حدود الجمال وذكية الى اقصى حدود الذكاء ..

استغلت هذا الجمال وذاك الذكاء في حياتها الدراسية في الجامعة .. فنزلت في افخم الفنـادق والمطاعم والمنتزهات بصحبة اغنى التلاميذ والعزاب وحطمت العشرات من عشاقها في طريقهـا ..

وخرجت اخيراً حرة .. حرة مماذا ؟

١٩٠ صفحة — الثمن ١٠٠ قل.س

نشر وتوزيع

المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر